Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عصره كانوا ، فى الحق ، على مقربة منه فى لغتهم ، وإن لم يهبطوا بها حيث اختار أبو البقاء أن يكون ، وإذن فهى طبيعة العصر نفسه .

أتراه كان يكتب لأبناء زمنه ، لا يهمه من يأتون بعد ، وليس فى حسبانه من ذهبوا من قبل ، وأن أبناء زمنه شُغلوا وسط عواصف السياسة الهوج عن العربية وإجادتها والفصحى وغريبها ، وإيثار ما جزل من ألفاظها ؟ . افتراض يقف فى طريقه أن الشعوب فى لحظات المحن تحرص أكثر من أى وقت آخر على مقوماتها الأساسية من لغة ودين وتقاليد وعادات ، ونجد الحرص على اللغة واضحًا فى انتشار فن المقامات والرسائل المسجوعة ، وكتابتها فى صناعة فنية محكمة ، لا تتأتى إلا لمن يجيد العربية وتمكن من أسرارها ، وقد شارك أبو البقاء فى هذه اللعبة بكتابه « روضة الأنس ، ونزهة النفس » ، ويصفه ابن الخطيب بأنه كان كبيرًا . وأخيرًا فإن موقف المسلمين فى الأندلس فى فترة إيداع أبى البقاء ، لم يكن ساء إلى حد ينسى المسلمين لغتهم ، وفى نونيته نفسها شاهد على ما أقول . ومن هنا أرجح أن أبا البقاء آثر السهولة فنا ، وارتضى لشعره أن يجئ لغة فى مرتبة وسط ، يصبح فيها زاد المتعلم ، وغنوة الأمى .

يكثر أبو البقاء من استخدام التشبيه ، وأحيانًا يجئ عنده قلقًا ، يصطدم آخره بأوله ، فالجنود المسلمين يذهبون إلى القتال متهللين ، فرحين بلقاء العدو ، فإذا مضيت مع الصورة إلى نهايتها ، وجدته يشبه هذه الوجوه بالقمر :

متهللين لدى اللقاء كأنهم خُلقتْ وجوههمْ من الأقمار

والقمر يرتبط فى ذهن القارئ العربى ، منذ كان هناك شعر وأدب ، بجمال وجه المرأة ، به تشبه ، وبين جماله وجمالها نوازن ، ولا أراه يثير غير السخرية أن تصف جنودًا ذاهبين إلى القتال بأنهم أقمار .

ومثله أيضًا ، حين يصف السيف ، فيشبه من أصابته طعنة منه فأرعفته ، وأسالت دمه ، بأنك تحسبه عاشقًا يبكى على طلل ، والصورة هنا لا تستقيم ، وشتان ما بين صريع فى حرب أو نزال ، يفيض داخله بالقهر والذل والهزيمة ، وبين عاشق يفيض صبابة ، ويقف على ربع حبيبه ، يسترجع ذكريات مضت ، نشوى بالسعادة والرضا :